فاذا بالرجل راجعا الى البلد وعلى راسه رزمة ثياب فاتوا النبي بهم فقال والله ها هو اليوم قد رجع لم
يصب شيء فدعى النبي به فحضر فساله ما فعلت اليوم فاخبره انه كان معه رغيفان اخرجهما
لغدايه ثم عرض له مسكين فساله فاعطاه الرغيف فامر النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ان ينزل تلك
الرزمة التي على راسه واخذ ما فيها ففتحها فاذا بحية عظيمة ملجمة بلجام من النار فقال النبي
صلى الله عليه وسلم تسليما هذا البلاء كان ارسل الله عليه وهذا اللجام المطوق بها هي
الصدقة التي صدق بها وقد ابقى الله عز وجل هذا الخير لهذه الامة باخبار الشارع عليه الصلاة
والسلام وهو ما تقدم وقد وصف عليه الصلاة والسلام الفقر ووصف الدواء لها وجعله وكيف
النجاة منها فقال الحج الى الايمان والاعمال الصالحات التي اشد من هذا كله ان قوما منهم جهلوا
هذا الامر وجعلوا الرشوة المذكورة من باب المداراة وهذا منه جهل بالمداراة ما هي وانما
المداراة الممدوحة في الشرع بذل الدنيا في صلاح الدين مثل ما كان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما
يفعل حين كان يعطي للمولفة قلوبهم الاموال الطائلة حتى لقد كان عليه الصلاة والسلام
يعطي لبعضهم واديا من غنم وواديا من بقر حتى حبب اليهم الايمان بالضرورة لكثرة عطاياه
لهم فكانوا يرجعون الى قبايلهم واهلهم فيقولون لهم يا اهل اسلموا فان محمدا يعطي
عطاء من لا يخاف الفقر وقد حكي عن بعض المتبعين من الفضلاء الذين فهموا هذا المعنى
انه راى بياعا وهو ضجر فساله عن حاله فقال البياع انا مستاجر على بيع هذا الطعام بدرهمين
في اليوم واخذه موزونا والسعر معلوم ولا اعطي للناس في الرطل الا رطلا غير تمر وبعد ذلك
ينقص لي كل يوم من راس مالي سوى اجرتي درهما واحتاج في داري نفقة فطلع علي العيش
فانا مهتم لذلك فقال له ذلك السيد كم يكفيك في دارك من النفقة فقال درهما فقال له
انا اعطيك درهمين كل يوم لنفقتك بشرط انك تعاهدني الا تاخذ شيا الا حقه فعاهده على
ذلك فاعطاه ذلك السيد ثمانية دراهم نفقة اربعة ايام ثم اتاه بعد الاربعة ايام فاعطاه
ثمانية على اربعة ايام اخر فلما ان جاءه في الثالثة يعطيه قال له والله اني لا اخذ منك شيا فقال لم

قال لانه منك

لانه منك تركت الاخذ للناس رجعت اجد كل يوم درهمين فاضلة على اجرتي وعلى راس مالي
ودون نفقتي فهذا وما اشبهه هي المداراة الممدوحة في الشرع فمن كانت فيه احد هذه
الاوصاف المتقدم ذكرها وهي ما ذكرناه في بعض المتعلمين وبعض النساخين وبعض العوام
المتقدم ذكرهم وما اشبه ذلك كيف يسوغ له ان يدعي انه من القسم الناجي والنبي صلى
الله عليه وسلم تسليما يقول في صفة الناجين ما انا عليه واصحابي وكيف يدخل بما يفعل من ذلك
شيا تحت توفية عموم الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام لا تشركوا بالله شيا والشيء
ينطلق على القليل والكثير كما تقدم فما ينبغي للمسكين من عقله يقيم ميزان الشرع على
نفسه حتى يصلح له حقيقة ما ادعى من الاتباع وقد قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا انفسكم
قبل ان تحاسبوا ثم نرجع الان الى بيان ما اشترطنا ان نبينه من اعتقاد اهل السنة واحوالهم
فاما اعتقادهم فهو على ما يقتضيه عموم قوله عز وجل ليس كمثله شيء فواجب ذلك
النقل والعقل فاما النقل فالآية المذكورة هنا واما العقل فلان خالق الوجود لا يشبه من خلق
اذ الصانع لا يشبه الصنعة وبقي التشبيه والتحديد لان التحديد والتكييف لا يكونان
الا في المخلوق لانها صفات المحدث وتعالى الخالق جل جلاله عن التكييف والتحديد والحلول وان
سبحانه عز وجل صفات الجلال والكمال على ما يقتضي ذلك من الحياة والقدرة والعلم والحكمة
والارادة وادراك جميع المدركات على ما هي عليه مع نفي الكيفية في الذات والصفات
وانه محيط بالجزئيات والكليات الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وانه هو المحتوي على
جميع المخلوقات العرش وما حوى والثرى وما بينهما وما تحت الثرى كما اخبر عز وجل في
مقتضى التنزيل وان خلقه لذلك من غير احتياج اليه ولم يدركه نصب في اختراعها وابدائها
ولا شبيه له ولا مماثل وانه ليس في خلقه علة لمعلول ولا في تقديم بعضها على بعض تحقيق
موجب ولا تاخير من تاخر منها الا خطي ان لازم ولا نفي جميع الضدين للعجز والقهر ولا شاهد
مخلوقاته والمضارها الضعف لا تحول بل كل ذلك لاختيار وحكمة وكل نعمة وهداية منه منة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)